الفصل الثاني

مسئولية الآباء في مجال العقيدة

وفيه أربعة مباحث :

- **المبحث الأول :**

تنشئة الأولاد على عقيدة التوحيد وإفراد الله في العبادة وأهمية ذلك .

- **المبحث الثاني :**

التربية على أركان الإسلام والإيمان والإحسان (مراتب الدين الثلاث) .

- **المبحث الثالث :**

التنشئة على مستلزمات العقيدة .

- **المبحث الرابع :**

أثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

مسئولية الآباء في مجال العقيدة

تمهيـد :

العقيدة الإسلامية أساس الدين الحنيف وأصله ، ومرتكز الشريعة والأخلاق ، فالعبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك ، كل ذلك مرتبط بالعقيدة ومؤسس عليها وقائم بها ، فمتى اختلت العقيدة اختل ما بُني عليها .

والعقيدة تتضمن ما يعتقده الإنسان ويدين به ، ومن هنا فإنها تتضمن جميع ما هدى إليه الدين الحنيف مما هو من أعمال القلوب والجوارح ، وعلى الأخص فإنها تتضمن الدين بمراتبه الثلاث : (الإسلام ، والإيمان ، والإحسان) ، وهذه المراتب الثلاث بمستلزماتها من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق تؤسس على أصل الدين ، الذي هو أصل الأصول وهو توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته .

ولئن كانت الدعوة الإسلامية في مقصدها الأجل تهدف إلى تحقيق العبودية لله تعالى ، فلا جرم أن تربية الناشئة على هذه العقيدة بغية جليلة ، ومقصد نبيل ، وغرض شريف ، بل لا تصح التربية ولا تستقيم الحياة بغير عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، فهو الأصل الذي قامت عليه دعوات الرسل جميعاً ، وحسبنا في ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1] .

والحديث عن أهمية العقيدة في الحياة حديث الفطرة والبديهة والثوابت ، فالإنسان بغير العقيدة الإسلامية لا معنى لوجوده ولا هدف من حياته ، يعيش

(١) سورة البينة : الآية ٥ .

كالسائمة لا هم له غير البطن والفرج ، يعيش لنفسه وشهواته وهو في غفلة عن ذكر ربه وعن الدار الآخرة ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[1] .

ويبدأ تعليم الأولاد أمور الدين منذ سن التمييز والإدراك ، وليس للتمييز سن معين كما قال ابن القيم -رحمه الله- : بل من الناس من يميز لخمس كما قال محمود بن الربيع : **«عقلت من النبي ﷺ مجة مجها في وجهي من دلو في بئرهم وأنا ابن خمس سنين»**[2] .

ولذلك جعلت الخمس سنين حداً لصحة سماع الصبي . . . فإذا صار له سبع سنين دخل في سن التمييز وأمر بالصلاة . ثم ساق ابن القيم جملة من الأحاديث والآثار في تقرير ذلك[3] .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم حديث (٧٧) ، ومسلم في كتاب المساجد (٣٣) .

(٣) انظر تحفة المودود ص ١٧٣ .

obeikandl.com

المبحث الأول : تنشئة الأولاد على عقيدة التوحيد وإفراد الله تعالى في العبادة ، وأهمية ذلك

لا جرم أن توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة هو لب الإسلام وأصله الأصيل ومرتكزه الركين ، وبغير تحقيق التوحيد في العبادة لا يكون الإنسان مسلماً ، ولا يكون عمله مقبولاً ، إذ أن قبول العمل منوط بالإخلاص لله عز وجل والمتابعة للنبي ﷺ ، وتوحيد الألوهية وهو توحيد العبادة هو الذي عليه مدار الجزاء والحساب ، وبه نزلت الكتب السماوية ومن أجله بعثت الرسل ، وعليه جردت سيوف الجهاد .

وفيما يلي بعض النصوص الشرعية المبينة لقيمة وأهمية توحيد العبادة في حياة الإنسان وأثره المصيري :

- في أن التوحيد مضمون رسالات الله كلها قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ . . .﴾[1] ، وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[4] ، ومن السنة حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد»**[5] .

---

(١) سورة النحل : الآية ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

(٣) سورة النحل : الآية ٢ .

(٤) سورة البينة : الآية ٥ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأنبياء (٣٤٤٢) ، ومسلم في كتاب الفضائل (٢٣٦٥) .

فلقد اتفقت رسالات الله تعالى كلها على هذا المبدأ العظيم مبدأ التوحيد ، مع اختلافها في الشرائع كما قال تعالى : ﴿ . . . لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . . . ﴾[1] ويدل على أن دينهم كلهم واحد وهو الإسلام ، الذي لا يقبل الله ديناً غيره ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . . ﴾[2] وقوله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[3] فجميع الملل والنحل غير دين الإسلام باطلة ، ومن مات على غير دين الإسلام فهو من أصحاب النار قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾[4] .

- وعبادة الله وحده أعظم ما يجب على الخلق تجاه الخالق جل وعلا ، وفيه يقول تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . . . ﴾[5] ، وقال : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا . . . ﴾[6] ، وقال ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[7] .

ويردد المسلم في اليوم أكثر من سبع عشرة مرة قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[8] .

فأعظم الحقوق على الإطلاق حق الله تعالى في أن يعبد فلا يشرك معه غيره ، وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : «يا معاذ» قلت : لبيك وسعديك ، ثم قال مثله ثلاثاً : «هل تدري ما حق الله على العباد»؟ قلت : لا . قال : «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا» ، ثم سار ساعة فقال : «يا معاذ» قلت : لبيك وسعديك ، قال :

(١) سورة المائدة : الآية ٤٨ .
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .
(٤) سورة آل عمران : الآية ٩١ .
(٥) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .
(٦) سورة النساء : الآية ٣٦ .
(٧) سورة الزمر : الآية ٦٦ .
(٨) سورة الفاتحة : الآية ٥ .

«هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ : أن لا يعذبهم»[1] .

- وتوحيد العبادة كما أنه أساس الدين ، فإن نقيضه وهو الشرك يحبط العمل ويورث الوزر كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[2] .

ومن مات على الشرك فإنه خالد في النار غير مغفور له ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾[3] وعليه فإن أعظم ذنب عصي الله به وأكبر الكبائر هو الشرك بالله ، ولما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال ﷺ : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»[4] .

- وفي أن الجهاد إنما شرع لمقاصد جليلة من أعظمها تعبيد العباد لخالقهم وبارئهم ، وإخراجهم من عبادة غير الله كائنا من كان ، فإذا دفعوا الجزية مقابل حمايتهم أقروا على ملتهم ، وإن أبوا قوتلوا حتى يشهدوا شهادة الحق ، على تفصيل ذكره الفقهاء في المشرك والكتابي وغيرهما ، وفي هذا حديث ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه وحسابه على الله»[5] .

- وفي أن الجزاء الأخروي ومصير المكلف مرتهن بمدى تحقيقه للتوحيد يقول الله جل ذكره : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[6] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٦٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٠) .

(٢) سورة الزمر :الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

(٣) سورة النساء : الآية ١١٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحدود (٦٨١١) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٨٦) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٢٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٢٢) .

(٦) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

ومن السنة حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : عن النبي ﷺ قال : قال لي جبريل عليه السلام : «من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ، أو لم يدخل النار» قال : «وإن زنى وإن سرق؟» قال : «وإن»[1] .

وفي حديث عتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «لا يوافي عبدٌ يوم القيامة يقول لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلاحرم الله عليه النار»[2] .

فتوحيد الله تعالى سبيل الفوز برضوانه وجناته ، والنجاة من سخطه ونيرانه ، وتوحيد العبادة وهوتوحيد الألوهية أصل الدين ومرتكزه الأول الذي عليه وبه تقوم مبانيه العظام من عبادات ومعاملات وأخلاق .

إن الولد جوهرة نفيسة عند والديه ، فهو نواة الأسرة والمجتمع ، وأمل الغد والمستقبل ، وموئل الإسلام بعد الله تعالى ، فتربيته على عقيدة التوحيد أساس تربوي وطيد ، بل لا تصح التربية ولا تستقيم بغير عقيدة التوحيد الذي هو أساس الإسلام وأصله الأصيل .

وبعد هذا التقديم المهم عن أهمية عقيدة التوحيد وأثرها في تقرير المصير أورد فيما يلي معالم (تربية الأولاد على عقيدة التوحيد) مع ضرب الأمثلة من الكتاب والسنة على ذلك فأقول وبالله تعالى التوفيق ومنه التسديد :

أ - تصحيح النية فالنية الصالحة بداية كل خير وسبب كل رشد بعد توفيق الباري ، وطلب الذرية الصالحة التي توحد الله تعالى مطلب أسنى يتوخاه المسلمون بالإكثار من الدعاء والابتهال إلى الله تعالى كما في دعوة عباد الرحمن : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[3] ، وبالسعي إلى تحصيل هذه الغاية ، كما يلاحظه المتأمل في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ ، لما آذاه الكفار وأرسل الله إليه ملك الجبال فقال : «إن شئت أطبق عليهم الأخشبين» قال ﷺ : «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا»[4] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٢٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٤) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الرقاق (٦٤٢٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٣) .

(٣) سورة الفرقان : الآية ٧٤ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٣١) ، ومسلم في كتاب الجهاد (١٧٩٥) .

فطلب الذرية الصالحة التي تعبد الله وحده أمنية عزيزة يسعى إليها المسلمون لا يعدلون بها شيئاً ، وأي شيء أعز وأنفس من عبدٍ لله يوحده ويمجده ويدعو الناس إلى توحيده وتجنب الشرك به سبحانه وتعالى .

ب - الاجتهاد في الدعاء بأن يهدي الله الولد إلى صراطه المستقيم وهديه القويم ، فيوحد الله ولا يشرك به شيئاً ، وهذا منهج النبيين فهذا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والتسليم قال الله تعالى عنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1] . ودعاء الوالدين من جملة الأسباب التي يؤمر بها المسلم لطلب صلاح الأولاد .

ج - تلقين الولد مبادئ التوحيد إذا بلغ سن التمييز ، بتدريبه على نطق الشهادتين ، وإفهامه معناهما بحسب مداركه العقلية وقدراته الفكرية ، ويبصر بالأصول الثلاثة وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيه ﷺ في الوقت المناسب وبالأسلوب المناسب الملائم إلى عقله ونفسه ، وتكرار ذلك بغير إملال ، كي ينطبع ذلك في فؤاده وينغرس في قلبه الغض فيشب سليم الفطرة قويم العقيدة .

وتأمل كيف طفق النبي ﷺ يعلم ربيبه عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه لما كان صبياً تطيش يده في الصحفة ، لقد قال له : **«يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك»**[2] فهو يعلمه اسم الله قائلاً : «يا غلام سم الله» واسم الله تبارك وتعالى أجل ما يتعلمه الولد منذ الصبا ، وإذا تعلمه تعلم معه لوازمه وهو معرفة الدين والنبي ﷺ وهذا أمر بدهي .

د - العمل التربوي الدائب في تعليم الولد وتلقينه وتبصيره بتوحيد الله تعالى ، بمختلف الوسائل والأساليب المشروعة .

وفيما يلي أربعة نماذج في هذا الباب وهي غيض من فيض مما تزخر به قصص القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة :

---

(١) سورة إبراهيم : الآية ٣٥ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأطعمة (٥٣٧٦) ، ومسلم في كتاب الأشربة (٢٠٢٢) .

- في قصة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل -عليه وعلى نبينا صلوات الله وتسليماته- الذي أقام قواعد البيت بأمر الله عز وجل على أساس التوحيد، إذ قال في شأنه الباري تقدست أسماؤه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[1].

وحرص إبراهيم عليه السلام كل الحرص على تربية أبنائه على هذا المبدأ العظيم مبدأ التوحيد يتجلى ذلك في دعواته: ﴿ ... وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾[2] وفي موضع آخر: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ... ﴾[3]. والإسلام أساسه التوحيد وبغير التوحيد لا يكون الإنسان مسلماً.

وامتد هذا الأسلوب التربوي وتلك الوصية الميمونة في عقبه ونسله، في ابنيه إسماعيل وإسحاق، ومن بعدهما أولادهما ... فكل واحد منهم كان موحداً يعبد الله ويربي على ذلك ولده ويحذرهم من الشرك بالله ومغبته، ولنتأمل سيرة يعقوب ابن إسحاق عليهما السلام وهو في سياق الموت، لقد جمع أولاده الاثني عشر وراح يوصيهم وهو على فراش الموت بهذه الوصية الخالدة الجليلة، قال الله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[4].

وسرت هذه التربية المباركة بعد ذلك في جيل أبناء الأحفاد، فهذا يوسف ابن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وهو «الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم» كما في حديث ابن عمر مرفوعاً[5] يدعو قومه إلى توحيد العبادة لله تعالى، حتى

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٢٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٣.

(٥) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث (٣٣٩٠)، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة، حديث (٥٤٥٤).

وهو في السجن ، لقد قال : ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وهكذا فإن تربية الأولاد على الإيمان بالله تعالى وعلى إفراده جل وعز في العبادة دأب المرسلين ، وإلى ذلك دعوا أممهم وأقوامهم وعليه ربوا أولادهم وأهليهم ومن أجل نشره بين الناس جاهدوا وصبروا وصابروا حتى الرمق الأخير ، ونهج الأنبياء هو النهج القويم والصراط المستقيم .

-وفي قصة لقمان ووصيته لابنه يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[2] .

فلقمان عليه السلام في الوصية الجليلة يحذر ابنه من الشرك ويصفه بأنه ظلم عظيم فهو أعظم ذنب عصي الله به وهو أكبر الكبائر ومن مات عليه خلد في النار والعياذ بالله ، ثم طفق يذكره بحقوق الوالدين وأن حقهما بعد حق الله وطاعتهما من طاعة الله إلا إن أمرا بالشرك بالله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وراح يبين له عظمة الخالق في خلقه وملكه وقدرته وعلمه ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة ولا تخفى عليه خافية ، كل هذه المضامين الإيمانية الجليلة وصى

(١) سورة يوسف : الآيات ٣٧ - ٤٠ .

(٢) سورة لقمان : الآيات ١٣ - ١٦ .

بها لقمان ابنه ، وغرسها في عقله وقلبه ، وهي أجل وأعظم ما يزجيه والد لولده ويربيه عليه ويوصيه به ويتعاهده عليه .

- ومن النماذج المحببة إلى الأطفال أسلوب القصة ، إذ تشد فيهم الرغبة إلى معرفة النتيجة أو ما يسمى بعقدة القصة ، والقرآن العظيم حافل بالقصص التي تتضمن معاني ومستلزمات التوحيد ، بل قصص القرآن كلها ترتكز على ركيزة الإيمان بالله ووحدانيته جل وعلا ، وأيضاً القصص الأقرب إلى عقل الطفل وقلبه ومشاعره وأحاسيسه وميوله كالقصص التي تتضمن عنصراً من الحيوانات أو الطيور ، ولنختر منها قصة الهدهد الذي رأى الشرك بالله وشاهد أهل سبأ يسجدون للشمس ويعبدونها من دون الله فغضب وهو طائر من الطيور التي كانت في مملكة سليمان وجاء إلى سيده نبي الله سليمان عليه السلام يقص عليه ما شاهد وعاين فكانت بداية للدعوة الإسلامية التي وجهها سليمان إلى قوم بلقيس وانتهت إلى إيمان ملكتهم ودخولها في دين الإسلام وتركها الشرك وأسبابه .

قال تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[1] .

- ومن السنة النبوية الشريفة ، ما دأب عليه النبي ﷺ كغيره من الأنبياء الذين سبقوه ، من الدعوة إلى عبادة الله وحده وترك كافة صور وأشكال الشرك وأسبابه ، وكان صلوات الله عليه يدعو إلى التوحيد قومه رجالهم ونساءهم وصغارهم

(١) سورة النمل : الآيات ٢٠-٢٦ .

وكبارهم ، كما قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فتلاوة الآيات أي قراءتها والعمل بها ، وتزكية النفس بصنوف العبادات والقربات ، وأيضاً علم الكتاب والحكمة ، كما أنها أسس التربية الإسلامية ومنابعها ، فهي إنما تؤسس على أصل التوحيد ، وتقوم شجرتها على جذور التوحيد ، كي تينع وتورق وتثمر ثمراتها المباركة .

ومن الأمثلة على تربية الأولاد على مبدأ التوحيد حديث معاذ رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي ﷺ فقال : «**يا معاذ**» قلت : لبيك وسعديك ، ثم قال مثله ثلاثاً : «**هل تدري ما حق الله على العباد**»؟ قلت : لا . قال : «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» . ثم سار ساعة فقال : «**يا معاذ**» قلت : لبيك وسعديك ، قال : «**هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ : أن لا يعذبهم**»[2] .

ومثل آخر يتبين من خلاله كيف كان صلوات الله عليه يغرس التوحيد ولوازمه في عقول وقلوب الناشئة ، ويربيهم عليه ، ويتعاهدهم به .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «**كنت رديف النبي ﷺ يوماً فقال : يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[3] .

وعلى هذا المنوال فالتوحيد يقوي اليقين بالله ويجعل القلوب تتعلق بخالقها وبارئها وحده ، ترجو رحمته وتخشى عذابه ، وتهون الدنيا كلها في ذات الله ، فلا يملك أحد ضراً ولا نفعاً إلا بإذن الله وعلى ما جرت به مشيئته وأقداره .

---

(١) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان (٦٢٦١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٠) .

(٣) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة حديث (٢٥١٦) ، وأحمد في مسند بني هاشم حديث رقم (٢٥٣٧) .

هذا ومن لوازم توحيد الألوهية وهو (توحيد العبادة) مما ينبغي للآباء والمربين غرسه في قلوب الناشئة :

- تجنب كل ما ينافيه من الأعمال الشركية كالحلف بغير الله ، والاستعانة والاستغاثة بغير الله ، والذبح والنذر والتوكل وطلب المدد واعتقاد أن غير الله يتصرف في الكون كائناً من كان ملكاً أو نبياً أو ولياً ، وكل ما هو من خصائص الألوهية مما يدخل في مسمى العبادة لا يصرف إلا لله وحده لا شريك له ، لا إله غيره ولا رب سواه ، ولا معبود بحق إلا هو ، بيده ملكوت كل شيء وهو الواحد القهار .

- التلازم بين الربوبية والألوهية ، فاعتقاد أن توحيد الله تعالى هو الإيمان بأنه الخالق الرازق المحيي المميت ، والاقتصار على ذلك اعتقاد غير صائب لأنه إيمان بالربوبية فقط ، ولا ينتفع بالإيمان بها الإنسان إن لم يكن معها إيمان بالألوهية لأن المشركين يقرون بالربوبية ولم يدخلهم ذلك في مسمى الإيمان كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ . . . ﴾[1] .

ولقد شذ بعض المنتسبين إلى الدعوة وفهموا هذا الفهم السقيم فالتوحيد عندهم اعتقاد أن الله هو الخالق الرازق المبدئ المعيد ، دون الاعتقاد أن العبادة لا تصرف إلا له عز وجل ، وهو مفهوم خاطئ كما ترى ، ولا ينتفع به صاحبه ما لم يأت بتوحيد الألوهية .

- تأسيس كل مجريات الحياة على هذا الأساس الإيماني الوطيد من عبادات ومعاملات وأخلاق ، فمن لوازم التوحيد إقامة كافة أنساق الحياة وفق أركان الإيمان وأركان الإسلام والإحسان ، فالإيمان اعتقاد وعمل ، والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والمسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر بل يفسق إن لم يتب منها .

وجدير بالتنويه والإشادة هنا ما يحظى به الناشئة في المملكة العربية السعودية من اهتمام بالغ بأمور العقيدة منذ المرحلة الابتدائية ، إذ يلقن الأصول الثلاثة التي لا يسع المسلم جهلها ، ويكرر ذلك على مسامعه ومداركه العقلية في السنوات

(١) سورة الزمر : الآية ٣٨ .

التالية بصورة أوفى تتناسب مع قدراته الاستيعابية ، فينشأ -بإذن الله- سليم العقيدة بعيداً عن الخرافات والبدع التي تعاني منها المجتمعات التي لا تهتم بالعقيدة هذا الاهتمام البالغ الضروري ، وأثمر ذلك بفضل الله منذ أن صدع بالدعوة إلى تصحيح المفاهيم العقدية الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وآزره الإمام محمد بن سعود -رحمهما الله رحمة واسعة- ، وانتهج ملوك آل سعود -وفقهم الله وأعزهم بالإسلام- نهج العقيدة السلفية الصافية ، فليس في المملكة بحمد الله مظاهر شركية لا قبور يطاف حولها ، ولا مزارات ومشاهد تشد إليها الرحال ، ولا معابد تعبد من دون الله عز وجل ، وتلكم نعمة لا يعرفها إلا العالمون ، ولا ينكرها إلا الجاهلون والجاحدون .

والاهتمام بأمور العقيدة في المجالات التربوية وفي كل شؤون الحياة على المستوى الشعبي والرسمي ميزة انفردت بها في هذه الحقبة من تاريخ المسلمين بلاد الحرمين الشريفين ، وهو أمر ينبغي أن يذكر فيشكر وأن يعرف الفضل لأهله فلا ينكر .

وهذه منة مَنَّ الله بها على المسلمين قاطبة إذ أقام لهم في بلاد الحرمين الحجة البالغة لمن أراد الرشاد وطلب السداد في معرفة صحيح الاعتقاد .

وإن تعليم وتذكير الأولاد بهذه النعمة الجليلة وتلك الخصلة الفريدة كما أنه أداء لواجب الشكر عملاً بقول النبي ﷺ : «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» -رواه أبو هريرة رضي الله عنه -[1] هو أيضاً حماية لفلذات الأكباد من الفتن التي تتماوج هنا وهناك ، بينما يرفل أبناؤنا وبناتنا في واحة الأمن الفكري والأمن العقدي وكل ثمرات العقيدة كالأمن الغذائي والأمن العام وهو واقع نعيشه ونشهده لا ينكره إلا جاهل أو جاحد .

نسأل الله أن يكتب هذه النعمة التي يعيشها جيلنا والتي عاشتها الأجيال من قبلنا وسيعيشها من بعدنا إن شاء الله في موازين حسنات ولاة أمرنا ، وأن يثبتنا على ذلك حتى الممات إنه سميع مجيب .

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة حديث رقم (١٩٥٤) وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث رقم (٤٨١١) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٧١٩١) واللفظ للترمذي وأحمد .

obeikandl.com

المبحث الثاني : التربية على أركان الإسلام والإيمان والإحسان (مراتب الدين الثلاث)

أخرج الشيخان بسنديهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا» قال : صدقت! قال فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : أخبرني عن الإيمان ، قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال : صدقت! . قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» الحديث[1] .

هذا الحديث النبوي الجليل تضمن مراتب الدين الثلاث «الإسلام والإيمان والإحسان» وأركانها ، وهي أسس الدين ومرتكزاته التي لا يسع المسلم جهلها ، ولا يستقيم أمره ولا يرشد إلا بالإتيان بها .

فهي من الأمور الأساسية التي تنهض عليها التربية الإسلامية ، سواء من قبل الأبوين أو من قبل المربين والمعلمين والمرشدين .

وتعليم الولد هذه المراتب وأركانها وتربيته عليها منذ الصغر من فرائض الدين ومن أجل مسئوليات الأبوين المسلمين ، فإن اعتنيا به ووجهاه الوجهة الصحيحة

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٥٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٨) واللفظ لمسلم . وانظر الفتح ١١٥/١ في مفهوم الإيمان والإسلام والفرق بينهما . وأيضاً مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٨٩/٣ وما بعدها .

فسلمت فطرته التي فطره الله عليها رشد وسعد ، وسعد والداه ، وإن أهملاه هلك وانحرفت به الفطرة عن سواء السبيل ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»[1] .

ومن بدهيات الدين أن الاهتمام بالولد وتبصيره بأمور دينه من مسئوليات الوالدين إن أهملا في ذلك وفرطا فيه استحقا العقوبة لأن إهمال الولد في عصر كعصرنا هذا مع كثرة أسباب الإغواء عن الاستقامة والإغراء بالشهوات والشبهات يعد من كبائر الذنوب ، فمع اشتداد الحاجة إلى التربية والتقويم والتهذيب والتحصين تعظم المسئولية وتكبر الأمانة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : «وأما فساد الأولاد بحيث يعلمه الشحاذة ، ويمنعه من الكسب الحلال أو يخرجه ببلاده مكشوف الشعر في الناس ! فهذا يستحق صاحبه العقوبة البليغة التي تزجره عن هذا الإفساد ، لاسيما إن أدخلوهم في الفواحش وغير ذلك من المنكرات ، ويجب تعليم أولاد المسلمين ما أمر الله بتعليمهم إياه ، وتربيتهم على طاعة الله ورسوله كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**مروهم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع**[2]»[3] .

وفيما يلي معالم تربية الأولاد على المراتب التي تضم أصول الدين الثلاثة : معرفة العبد ربه ، ونبيه ﷺ ، ودينه وهو الإسلام .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز (١٣٥٨) ، ومسلم في كتاب القدر (٢٦٥٨) ، وقد تقدم

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة حديث رقم (٤١٨) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة ، حديث رقم (٦٤٦٧) .

(٣) مجموع الفتاوى ٥٠٤/١١ .

- التربية على أركان الإسلام :

في الصحيحين من رواية عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا»[1] .

- الشهادتان هما أعظم أركان الإسلام الخمسة ، وهما أساس الدين ومحوره ، وتتضمنان شرطي قبول العمل : الإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ . . . وفي فضل الشهادتين الجليلتين نصوص كثيرة جداً لا يتسع المقام لذكرها ، منها حديث معاذ رضي الله عنه وهو رديف النبي ﷺ على الرحل ، قال : «يا معاذ بن جبل» . قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : «يا معاذ» . قال : لبيك وسعديك يا رسول الله -ثلاثاً- قال ﷺ : «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار» قال : يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا !؟ قال : «إذاً يتكلوا» ، وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً[2] أي خوفاً من الوقوع في إثم كتمان العلم .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[3] .

وهذه الشهادة ليست مجردة من العمل كما قد يفهمه بعض الناس ، بل لابد من الإيمان والعمل الصالح كما ذكر تعالى في غير موضع من كتابه المبين من مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾[4] .

وقد بين ذلك علماء الإسلام أكمل بيان من مثل ما رواه البخاري قال : ما

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان (١٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم (١٢٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٣٢) .

(٣) رواه البخاري في كتاب العلم (٩٩) .

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠٧ .

جاء في الجنائز : ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله : وقيل لوهب بن منبه -رحمه الله- : أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال : بلى ، ولكن ليس مفتاح إلا له أسنان ! فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك[1] .

ومعنى -لا إله إلا الله- : أي لا معبود بحق إلا الله ، وإن تلقين الطفل منذ سن التمييز لفظ الشهادة وتدريبه على النطق بها لهو الخطوة الأولى في سبيل تربيته على مبدأ التوحيد وتعليمه مستلزماتها على حسب مداركه في مراحل عمره ، ومن أهم مستلزماتها الإخلاص لله وهو التلازم بين الربوبية والألوهية ، فالله هو الخالق الرازق فهو سبحانه المعبود بحق وحده لا إله غيره ولا رب سواه .

وإن عقل الطفل المدرك وقلبه كالجوهرة النفيسة الخالية من كل نقش ، والطفل -وقد خلقه الله على الفطرة- لديه قابلية فطرية للإقرار بالألوهية . والوالدان يقويان لديه المدارك من خلال لفت نظره بالأسلوب المناسب إلى مخلوقات الله المحيطة به من البهائم والحشرات والجمادات والأشجار ونحوها مما يحيط به مما هو من بيئته ومحيطه ، وذلك في شكل قصص صادقة أو في قالب إعلامي مناسب في الإطار الشرعي لإيقافه على عظمة الخالق سبحانه ، ومن ثم تعريفه بهذا الخالق المدبر ، وأنه الذي يستحق العبادة ، وأن هذا هو صراط المسلمين ، وأن الكافرين الذين يعبدون معه غيره في ضلال مبين .

وتأمل سيرة الفاروق عمر رضي الله عنه كيف ذكر الناس بالتوحيد وهو يطوف حول الكعبة قائلاً وهو يخاطب الحجر الأسود : **«إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك»**[2] .

وهذا يدل على أن الاهتمام بالتوحيد وهو أساس الدين ينبغي أن يكون هاجس المسلم في تذكير نفسه وولده ومن ولاه الله عليه وعامة الناس على قدر الوسع .

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٩٧) ، ومسلم في كتاب الحج (١٢٧٠) .

وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ، تستدعي من الأبوين تعريف الولد بمعناها وهو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه ﷺ .

وإن في أحداث السيرة النبوية الشريفة قبل البعثة وبعدها لمادة علمية زاخرة يستوعبها عقل الطفل المدرك إن أحسن مربيه عرضها بأسلوب القصة التي ينجذب إليها الأولاد وغيرهم وهو أفضل ما يهديه والد لولده ليملأ به وقته ويشبع فضوله ، ويروي تطلعه إلى الجديد المفيد .

وإن محبة النبي ﷺ لمن كبرى مقاصد التربية التي يتوخاها الأبوان المسلمان كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين»**[1] .

ومحبة النبي ﷺ إنما تكون في اتباع سنته واقتفاء أثره واتخاذه قدوة وأسوة في العبادات والمعاملات وكل مناحي الحياة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2] .

قال الإمام ابن سعدي : هذه الآية هي الميزان التي يعرف بها من أحب الله حقيقة ومن ادعى ذلك دعوى مجردة ! .

فعلامة محبة الله اتباع محمد ﷺ الذي جعل متابعته في جميع ما يدعو إليه طريقاً إلى محبته ورضوانه فلا تنال محبة الله ورضوانه وثوابه إلا بتصديق ما جاء به الرسول ﷺ من الكتاب والسنة وامتثال أمرهما واجتناب نهيهما فمن فعل ذلك أحبه الله وجازاه جزاء المحبين وغفر له ذنوبه وستر عليه عيوبه[3] .

وهذه المعاني الإيمانية كلها من أهم المقاصد التربوية التي ينبغي أن يرنو إليها الآباء وهم يربون أبناءهم .

إن تلقين الولد منذ مرحلة الصبا مبادئ الدين ينبغي أن يكون مناسباً لمدارك الطفل العقلية وقدراته الاستيعابية ، ومهما يكن من أمر فليس هناك متدوحة

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٤) ، والنسائي في كتاب الإيمان (٥٠١٥) .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١/١٧٩ .

عن تلقينه الأصول الثلاثة المعروفة بصيغة الاستفهام ومعه تلقين الجواب بتكرار ذلك من الأبوين حتى يصبح ذلك فيه سجية وطبعاً بأن يقال له :

- من ربك؟

* ربي الله .

- من نبيك؟

* نبيي محمد ﷺ .

- ما دينك؟

* ديني الإسلام .

مع الاهتمام البالغ بتساؤلات الولد واستفهامه المتكرر عن الله عز وجل ، وعن الرسول ﷺ وعن معنى الإسلام ، ولماذا خلقنا الله؟ وأين كنا قبل الحياة الدنيا؟ أو من أين يجيء الناس بالأطفال ؟! .

وإلى أين يذهب الناس بعد الموت؟ ولماذا نحب المسلمين ونكره الكافرين؟ وأسئلة أخرى كثيرة تنبعث بتلقائية وبراءة يتفتق عنها عقل الطفل وتفكيره ، والأب الكيس يحسن التوجيه بإحسان الإجابة عن تساؤلات أولاده . . . والطفل الذكي المفكر ينبغ إن أحسن تربيته ، ووفق إلى أب راشد لبيب يعرف كيف يبني في ولده العقل والتوجه الرشيد ! .

وهذا أمر في غاية الأهمية مع كونه في غاية السهولة والبساطة بعد توفيق الله لأنه أمر فطري جبلي ، ويصبح الترقي بعد ذلك إلى ما يليه من أمور العقيدة أمراً سهلاً ميسوراً .

- الصلاة :

قال ابن تيمية : من أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها ، وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة ، وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج لم يجعل فيها بينه وبين محمد ﷺ واسطة ، وهي عمود الدين الذي لا يقوم إلا به ، وهي أهم أمر الدين كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة .

وقد ثبت في الصحيح عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»[1] .

وفي حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه مرفوعاً : «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[2] فمن لم يعتقد وجوبها على كل عاقل بالغ غير حائض ونفساء فهو كافر مرتد باتفاق أئمة المسلمين[3] .

ولئن ذكرت الصلاة ذكرت معها الطهارة لأنها من شروطها ولوازمها ، ومسائل الطهارة كثيرة أختار منها ما يتعلق بتربية الأولاد .

- فمن ذلك : معرفة حكم التطهر من بول الغلام والجارية .

أما الغلام الصغير الذي يرضع ولم يأكل الطعام بعد فإن بوله طاهر يكتفى فيه بالنضح وهو الرش وفيه حديث أم قيس بنت محصن رضي الله عنها قالت : «**أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره فبال عليه ! فدعا بماء فنضحه ولم يغسله**»[4] .

أما الجارية فيغسل بولها ولا ينضح ، قال ابن القيم : قال إسحاق بن راهويه : مضت السنة من رسول الله ﷺ بأن يرش بول الصبي الذي لم يطعم الطعام ، ويغسل بول الجارية طعمت أو لم تطعم ، قال وعلى ذلك كان أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم ، قال . ولم يسمع عن النبي ﷺ ولا عمن بعده إلى زمان التابعين أن أحداً ساوى بين الغلام والجارية[5] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان (٨٢) ، وأبو داود في كتاب السنة (٤٦٧٨) ، والترمذي في كتاب الإيمان (٢٦١٨) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة (١٠٧٨)

(٢) رواه الترمذي في كتاب الإيمان حديث (٢٦٢١) ، والنسائي في كتاب الصلاة حديث (٤٦٣) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة حديث (١٠٧٩) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢١٥٩) .

(٣) مجموع الفتاوى ٤٣٣/١٠ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (٢٢٣) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٧) .

(٥) تحفة المودود ص ١٣١ .

والأولاد يعلمون التطهر للصلاة من الحدث الأكبر والأصغر ، وتعليم ذلك يقع على كاهل الآباء ، فالولد إذا ميز وجب تعليمه التطهر فالصلاة وكذلك الفتاة ، وقد ذكر الله تعالى التطهر للصلاة في محكم التنزيل لأهميته فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] .

فذكر ها هنا التطهر من الحدث الأصغر وهو الوضوء وفصل كيفيته بذكر الأعضاء التي تغسل والتي تمسح ، وذكر التطهر من الحدث الأكبر وهو الغسل ، وذكر موجبات كل ، ثم ذكر التيمم إذا عدم الماء أو عجز المسلم عن استعماله .

وصفة الوضوء من السنة النبوية الشريفة ما رواه الشيخان :

أن رجلاً قال لعبدالله بن يزيد ألا تستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ ؟ فقال عبدالله بن يزيد : نعم ! فدعا بماء فأفرغ على يديه فغسل مرتين ثم مضمض واستنثر ثلاثاً ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين ، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه ، ثم غسل رجليه[2] .

والإسباغ في الوضوء فضيلة يبتغيها المؤمن ، وفي حديث نعيم بن عبدالله المجمر قال : «رأيت أبا هريرة رضي الله عنه يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم

---

(١) سورة المائدة : الآية ٦ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (١٨٥) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٣٥) .

مسح رأسه ، ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق ، ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ»[1] .

ومن خصائص الأمة المحمدية أنها تتميز عن غيرها من الأمم بخاصية الوضوء أو بخاصية الغرة والتحجيل كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثر الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»[2] .

قال الإمام النووي : أهل اللغة الغرة بياض في جبهة الفرس ، والتحجيل بياض يديها ورجليها .

قال العلماء : سمى النور الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلاً تشبيهاً بغرة الفَرَس ، والله أعلم[3] .

وفي هذا قول الباري جل ذكره : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[4] .

أما الغسل فكما وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ للصلاة ، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره ، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه ، ثم يفيض الماء على جلده كله»[5] .

وهذا ما يسميه الفقهاء الغسل الكامل وهو كما في الحديث وفيه البدء بالوضوء ثم غسل الشق الأيمن ثم الأيسر ثم إفاضة الماء على سائر جسده ، وأما الغسل المجزئ فالإفاضة أو كمن يغطس في ماء كثير أو يغوص في نهر ثم يخرج .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطهارة (٢٤٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (١٣٦) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٤٦) .

(٣) المنهاج ١٣٨/٣ .

(٤) سورة الحديد : الآية ١٢ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الغسل (٢٤٨) ، ومسلم في كتاب الحيض (٣١٦) .

- ومن أحكام الطهارة مما يخص النساء تعليم الفتيات أحكام الحيض ، ولقد كان من حرص الصحابيات على تعلم ذلك لتصح عبادتهن أن كانت إحداهن تأتي إلى النبي ﷺ فتسأله عما يعن لها كما في حديث أسماء رضي الله عنها قالت : **جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : أرأيت إحدانا تحيض في الثوب كيف تصنع؟ قال : «تَحتُه ثم تقرصه بالماء وتنضحه وتصلي فيه»**[1] .

ومن أحكام الحيض أن الحُيَّض والنفساء يدعن الصلاة والصوم حتى يطهرن ، والحائض والنفساء تقضيان الصوم ولا تقضيان الصلاة ، وفي حديث جابر بن عبدالله وأبي سعيد مرفوعاً : **«أن الحائض تدع الصلاة»**[2] .

وأما النفساء فقال الترمذي : أجمع أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين ومن بعدهم على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوما إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلى ، فإذا رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا : لا تدع الصلاة بعد الأربعين[3] .

وحديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ : **أتصلي المرأة في درع وخمار ليس عليها إزار؟ قال : «إذا كان الدرع سابغاً يغطي ظهور قدميها»**[4] .

ويستفاد من النصوص السابقة : أن الصلاة لا تصح إلا بالطهارة وأن من مسئولية الآباء تعليم الأولاد الصلاة والتطهر لها ، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وأن من وسائل تعليم الأولاد وتربيتهم أسلوب القدوة بتدريبهم عملياً على كيفية الوضوء ، وهو أمر في غاية الأهمية لا سيما أن الأولاد وهم في سن التعليم والإدراك مفطورون على التقليد والمحاكاة فإذا كان الأبوان يؤديان الفروض الخمسة في أوقاتها ويتطهران لذلك فإن الأولاد يترسمون خطاهما ويتبعونهما في ذلك وهو من أمثل أساليب التربية .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء (٢٢٧) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٩١) .

(٢) رواه البخاري في كتاب الحيض باب لا تقضي الحائض الصلاة .

(٣) رواه الترمذي في كتاب الطهارة (١٣٩) ، واللفظ له ، وأبو داود في كتاب الطهارة (٣١٢) ، وابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها (٦٤٨) .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٦٤٠) ، ومالك في الموطأ كتاب النداء للصلاة (٢٩٥) .

وإنه لمن أكبر أخطاء الأبوين إهمال الأولاد في هذا الجانب فقد يكون الوالد صالحاً في ذات نفسه لكنه لا يلزم من تحت يديه من البنين والبنات بالصلاة ، وقد يهتم بأمور المعاش من مأكل وملبس اهتماماً بالغاً ولا يحفل بما هو أهم من ذلك وهو أمر الصلاة والدين ، وكذلك الأم قد يقع منها التفريط ، فقد تبلغ الفتاة المسلمة سن التكليف بالمحيض وغيره من علامات البلوغ وتمكث سنين لا تصلي ولا تعرف أحكام الحيض والطهارة والصلاة وهو تفريط مهلك من الأبوين وغفلة ، والله عز وجل سائلهما عن ذلك .

وبعد تحقق الطهارة في البدن لابد من طهارة الثوب والبقعة التي يصلى فيها ، فإذا تحقق من ذلك شرع في تعليم الأولاد الصلاة وبيان ذلك كالآتي :

وفي تعليم الأهل والأولاد الصلوات وإلزامهم بها قول الله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1] .

وهو دأب الأنبياء والصالحين كما في قوله تعالى حكاية عن أبي الأنبياء إبراهيم الخليل أنه ابتهل إلى الله قائلاً : ﴿ رَبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[2] .

وهذا التواصي بإقامة الصلاة بين الأب وبنيه وسؤال الله ذلك ، نراه ماثلاً في إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، قال الله تعالى عن إسماعيل : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[3] .

وإلزام الأولاد إقام الصلاة من أعظم الأمانات التي تقع على كاهل الآباء تجاه الأولاد بعد تلقينهم العقيدة وتربيتهم عليها ، وتأمل كيف تأتي أهمية الصلاة بعد العقيدة مباشرة في الاصطبار على إقامتها وفي تربية الأولاد عليها ، وذلك في :

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة إبراهيم : الآية ٣٧ .

(٣) سورة مريم : الآيتان ٥٤ - ٥٥ .

- دعاء إبراهيم عليه السلام ، وهو قوله : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾[1] .

- ووصية لقمان لابنه إذ قال له : ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ، ثم قال : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[2] .

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً على تربية الناشئة وغيرهم على إقامة الصلوات وتعهدهم بذلك ، والأمثلة عليه أكثر من أن تحصر ، منها :

- حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال : **أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا أهلنا ، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه ، وكان رقيقاً رحيماً ، فقال : «ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ، وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم»**[3] .

- ومنها حديث أنس رضي الله عنه : **«أن جدته مليكة دعت رسول الله ﷺ لطعام صنعته له ، فأكل منه ثم قال : «قوموا فلأصل لكم» قال أنس : فقمت إلى حصير لنا قد اسود من طول ما لبث ، فنضحته بماء ، فقام رسول الله ﷺ وصففت أنا واليتيم وراءه والعجوز من ورائنا ، فصلى لنا رسول الله ﷺ ركعتين ثم انصرف»**[4] .

وهكذا دأب عليه الصلاة والسلام على تربية الشباب على إقام الصلاة لترنو نفوسهم إلى معالي الأمور وليقفهم على مكانة المسلم ورسالته في الحياة من خلال التقرب إلى الله تعالى بطاعته وبأحب العمل لديه -الصلاة- التي هي عمود الدين .

---

(١) سورة إبراهيم : الآيتان ٣٥ ، ٤٠ .

(٢) سورة لقمان : الآيتان ١٣ ، ١٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٠٨) ، ومسلم في كتاب المساجد (٦٧٤) واللفظ للبخاري .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصلاة (٣٨٠) ، ومسلم في كتاب المساجد (٦٥٨) .

وهذا درس عملي تطبيقي على الآباء أن يحذوا حذوه في تعليم الأولاد ذكوراً وإناثاً الصلاة وتعويدهم وتربيتهم عليها .

قال ابن حجر : وفي الحديث صحة صلاة الصبي المميز ووضوئه ، وأن محل الفضل الوارد في صلاة النافلة منفرداً حيث لا يكون هناك مصلحة كالتعليم ، بل يمكن أن يقال هو إذ ذاك أفضل ولا سيما في حقه ﷺ[1] .

ومما يجب على الآباء أن يولوه العناية بعد التربية على الصلوات المفروضة والنافلة ، التربية على الأذكار المشروعة ، عقب الصلوات أو في الأحوال العادية ، وقد أمر الله عباده بالإكثار من ذكره بكرة وأصيلا فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله[3] .

وامتدح الله سبحانه عباده المتصفين بهذه الصفة الجليلة وهي ذكره تعالى على كل الأحوال الشريفة بشتى أصناف الذكر ، وأفضل ذلك تلاوة كتابه فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[5] .

ونوه بالأوقات الفاضلة للاستغفار والذكر فقال : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾[6] . وقال جل ذكره :

---

(١) الفتح ٤٩١/١ .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٤١ ، ٤٢ .

(٣) تفسير القرطبي ١٩٧/١٤ .

(٤) سورة فاطر : الآية ٢٩ .

(٥) سورة آل عمران : الآية ١٩١ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٧ .

﴿ ... إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] .

إن إقامة الصلوات بكامل أركانها وشروطها لا يتأتى إلا بالرغبة فيها والحرص على أدائها كاملة غير ناقصة ، والحرص مع ذلك على تحري الأوقات الفاضلة وعلى أن يكون المسلم كثير الذكر والشكر لربه عز وجل ، وكل ذلك لا يتأتى على الوجه الأتم إلا بالإيمان به والقناعة بأهميته والرغبة الذاتية فيه ، وهو ما يعمل الآباء بدأب وحرص على غرسه في نفوس وقلوب الأولاد . ومن الأذكار المشروعة الأذكار التي سنها النبي ﷺ ، عقب الصلوات المفروضة .

وأما الأذكار الأخرى التي ينبغي تعليم الأولاد إياها فكثيرة منها أذكار الطعام والشراب ، وأذكار النوم والاستيقاظ ، وأذكار ركوب الدابة والخروج من المنزل ، وأذكار قضاء الحاجة ، وأذكار قيام الليل مما يحرص عليها المسلم بشكل يومي وسيأتي ذكرها في المبحث الثالث إن شاء الله ، وأورد فيما يلي ما يسمح به المقام :

- حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء**»[2] .

- حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لا يضرك بأيهن بدأت**»[3] .

---

(١) سورة الذاريات : الآيات ١٦ - ١٨ .

(٢) رواه الترمذي في كتاب الطهارة (٥٠) ، والنسائي في كتاب الطهارة (١٤٨) ، وابن ماجه في كتاب الطهارة (٤٧٠) .

(٣)رواه البخاري تعليقاً في كتاب الإيمان ، ومسلم في كتاب الآداب (٢١٣٧) ، وأحمد في مسند البصريين (١٩٢٤٨) واللفظ لمسلم .

- ما رواه قتادة قال سألت أنساً أي دعوة كان يدعو بها النبي ﷺ أكثر؟ قال : كان أكثر دعوة يدعو بها يقول : «اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[1] .

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له لهُ الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك ، ومن قال : سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر»[2] .

- في حديث الأغر المزني أن رسول الله ﷺ قال : «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» . ولفظ البخاري : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[3] .

- وفي حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له : «يا أبا موسى ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة»؟ قلت : ما هي يا رسول الله ؟ قال : «لا حول ولا قوة إلا بالله»[4] .

- في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً عن النبي ﷺ قال : «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[5] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٨٩) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٠) واللفظ لمسلم .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٩٣) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء حديث رقم (٢٦٩١) واللفظ لمسلم .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٣٠٧) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٠٧٥) واللفظ لمسلم .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات (٦٤٠٩) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٧٠٤) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب التوحيد (٧٥٦٣) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٦٩٤) .

وهناك أدعية أخرى كثيرة بحسب الأحوال ، على المسلم تعلمها وسؤال أهل العلم عنها ، لاسيما الأدعية الواردة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة .

وقد أورد الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء ما هو أنفس من الدرر فطالعه أكرمك الله واحفظه والزمه وعلمه أهلك وولدك تفز ! .

- التربية على إيتاء الزكاة :

الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله تعالى ، وذلك في غير ما آية مثل قول الباري جل ذكره :

- في الأمر بها : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ ﴾[1] .

- وفي مدح القائمين بها : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[2] .

- وفي بيان أجرها العظيم : ﴿ . . . وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] .

- وفي أنها أمارة الإيمان والإسلام : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي الدِّينِ . . . ﴾[4] .

قال قتادة : الناس ثلاثة رهط : مسلم عليه الزكاة ، ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عشور ماله[5] .

- وفي أنها من أصول الدين التي اتفقت عليها شرائع الرسل والنبيين ، في قصة عيسى عليه السلام : ﴿ . . . وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[6] ، وفي

---

(١) سورة البقرة : الآية ٤٣ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٧٧ .

(٣) سورة النساء : الآية ١٦٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية ١١ .

(٥) تفسير الطبري ١٣٦/١٤ .

(٦) سورة مريم : الآية ٣١ .

قصة إسماعيل عليه السلام : ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[1] ، وعن عامة النبيين : ﴿ . . . وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[2] .

قال الإمام السعدي : عطف الصلاة والزكاة على الخيرات وهو من عطف الخاص على العام لشرف هاتين العبادتين وفضلهما ولأن من كمّلهما كما أمر كان قائماً بدينه ومن ضيعهما كان لما سواهما أضيع ، ولأن الزكاة أفضل الأعمال التي فيها الإحسان إلى خلقه[3] .

- وفي أن الزكاة تستوجب رحمة الله : ﴿ . . . قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[4] .

- وفي صفة المتقين المهتدين : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ . . . ﴾[5] .

- وفي وصف النساء الصالحات القانتات : ﴿ . . . وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ . . . ﴾ .[6]

والنصوص في فضل الزكاة وأهميتها في استقرار الحياة الاجتماعية وعظيم أثارها الأخروية أكثر من أن تحصر ، ولئن كانت الزكاة بهذه المثابة من الأهمية والمكانة والفضل ، كان تربية المسلم عليها منذ صباه مقصداً شرعياً لتسهل عليه حال الكبر وليقوم بها عن رغبة ذاتية وقناعة وإيمان .

---

(١) سورة مريم : الآية ٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية ٧٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ١٢٢/٥ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٥٦ .

(٥) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٦) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

وتربية الولد على الزكاة الحسية والمعنوية مقصد تربوي من أوليات المقاصد التي يقع على كاهل الآباء تحقيقها ، وتربيته عليها تغرس في نفسه الرحمة بالمساكين والعطف على الفقراء والمحتاجين ، ويرغبه في صلة الرحم وإيتاء ذي القربى حقه ، وأن خير الناس أخيرهم للناس ، تلك أخلاقيات الزكاة التي يزرعها الإسلام في المسلم ، إذ يشعره بالشعور الجمعي المبني على أن المجتمع الإسلامي بنيان واحد يسوده التعاطف والتواد والتراحم لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ولا بين قوي وضعيف ولا بين حاكم ومحكوم .

ومن الأساليب التي ينبغي أن يسلكها الأبوان في غرس تلك المعاني الإسلامية والقيم الأخلاقية في نفس الولد :

- تعريفه بحياة الفقر والفقراء والبؤساء ، وأن من المحتاجين من يبيت بلا مأوى وبلا كساء ، ومنهم من يبيت طاوياً بلا عشاء ، ومنهم اليتيم المقهور والبائس الفقير والغارم والأرملة وابن السبيل ، والمشرد والمستضعف . . . إلخ .

وتبصير الولْدان بذلك على اختلاف وسائل الإعلام المتاحة ينمي لديهم الإحساس بحاجات البؤساء والمعوزين وكما قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[2] .

- تدريبه عملياً على إيتاء الزكاة وذلك بأن يعطي المساكين والمستحقين الزكاة والصدقة على سبيل المناولة ، إذ يحس عندئذ وهو يباشر التصدق بأنه كيان له شخصيته واعتباره وأنه فرد في المجتمع له دوره وسمته ، ويتعلم من خلال ذلك معاني العطاء والتراحم والتعاطف والتعاضد الذي يسود المسلمين ، حين يعطف بعضهم على بعض ويرحم غنيهم فقيرهم لا طلباً لمقابل بل عملا

(١) سورة الضحى : الآيات ٩-١١ .

(٢) سورة الإنسان : الآية ٨ .

بأخلاق الإسلام : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾[1] ، وينبغي للأبوين أن يتفطنا إلى ذلك ولا يهملا هذا الجانب التدريبي الذي سيكون امتداداً لمستقبل حياة الولد .

ومما يعزز هذا الجانب الذي يزرع في الولد معنى المرحمة إيجاب الشرع الزكاة في مال الصغير الغني كإيجابها في مال البالغ المكلف ، ومثل ذلك مال الكبير المخرف والمعتوه ، إذ أن زكاة المال ليست منحصرة في أموال المكلفين ، وهو قول جمهور الفقهاء[2] .

- تنمية إيمان الولد باليوم الآخر ، وتربيته على أن ما ينفقه المسلم يبتغي به وجه الله فإنه يدخر له ليوم التغابن ، قال إبراهيم بن أدهم في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ : نعم القوم السؤال! يحملون زادنا إلى الآخرة .

وقال إبراهيم النخعي : السائل بريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول : أتبعثون إلى أهليكم بشيء ؟![3] .

- التربية على الصيام :

الصيام جنة ، والصيام تربية للنفس على مكارم الأخلاق وضبط شهوات النفس ، وكبح جماح النفس وتوجيهها نحو الخير والفضيلة ، والصيام مبدأ أصيل من مبادئ التربية ، وحسبنا في فضل صيام رمضان أنه يكفر السيئات ويرفع الدرجات كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ : **«من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»**[4] .

---

(١) سورة الإنسان : الآية ٩ .

(٢) انظر المغني لابن قدامة ٦٩/٤ المسألة (٤١٦) ومجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٤/٢٥ .

(٣) تفسير أبي السعود ١٧١/٩ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣٨) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين (٧٦٠) .

وصوم يوم من أي أيام السنة يباعد الله به وجه المسلم عن النار سبعين خريفاً كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**من صام يوما في سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا**»[1] .

وكما أن من فضائل الصوم التجافي عن عذاب السعير فإن عظم الأجر والمثوبة من لوازمه وهو أمر مطرد في الصوم بحسب ما يحققه الصائم من الإخلاص لله عز وجل وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل : «**كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به فوالذي نفس محمد بيده لخلفة فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[2] .

وإذا ذكر صوم رمضان ذكر معه قرينه وهو القيام الذي هو دأب الصالحين وسنة المتقين وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[3] .

ولئن كان لشهر الصوم في حياة المسلم مكانة خاصة وروحانية لا يعرفها غيره ، فإن الطفل المسلم يربى على هذه الفريضة منذ سن التمييز كي يتمرس على ضبط النفس وكفها عن المأكل والمشرب والجهل والكذب وسائر ما ينتهي عنه الصائم ، وليسهل عليه حال الكبر صيام رمضان وقيامه ، وتأمل المقاصد الأخلاقية في الصوم المذكورة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم!**»[4] .

وليس أوفق من (التدرج) في تربية الأولاد على الصوم ، ولقد شرعت فريضة الصيام بالتدرج على أربع مراحل :

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٨٤٠) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم حديث (١٨٩٤) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٣٧) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٥٩) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٨٩٤) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٥١) .

١- ترسيخ التوحيد والدعوة إليه وترسيخ كافة أمور العقيدة ، طيلة العهد المكي ، ولم يفرض في هذه الحقبة من أحكام الشريعة شيء سوى الصلاة ، وفي قول : والزكاة .

٢- الترغيب في صوم يوم واحد فقط في العام وهو يوم عاشوراء مع الحض عليه وعدم التهاون فيه ، وتوضح ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها : **«كان رسول الله ﷺ يأمر بصيامه قبل أن يفرض رمضان فلما فرض رمضان كان من شاء صام يوم عاشوراء ومن شاء أفطر»**[١] .

ويقول جابر بن سمرة رضي الله عنه : **«كان رسول الله ﷺ يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده ، فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده»**[٢] .

٣- استحباب صوم رمضان من غير إيجاب ، فمن شاء صام ومن شاء أفطر وفدى .

وفي هذا حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : **«لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾**[٣] **كان من أراد أن يفطر ويفتدي ، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها»**[٤] .

وفي رواية أخرى عند مسلم عنه رضي الله عنه : **«كنا في رمضان على عهد رسول الله ﷺ من شاء صام ومن شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾**[٥] .

٤- وجوب صيام رمضان بشرط الإفطار عند غروب الشمس فمن لم يتمكن فعليه متابعة الصيام إلى غروب الشمس من اليوم التالي ! ويوضح ذلك البراء رضي الله عنه

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (٢٠٠١) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٢٥) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٨٩٣) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٢٨) .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٨٤ .

(٤)متفق عليه : رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٥٠٧) ، ومسلم في كتاب الصيام (١١٤٥) .

(٥) سورة البقرة : الآية ١٨٥ .

بقوله : «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائماً فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام؟ قالت : لا ولكن أنطلق فأطلب لك ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبة لك! فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ﴾[1] ، ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[2] »[3] .

فيؤخذ الطفل المميز القادر على الصيام بالتدرج على هذا النحو صوم يوم ثم بعد فترة صوم يومين ثم أكثر مع إيجاد الحوافز المشجعة والملهيات المشروعة لإلهائه عن حرقة الجوع ساعات الصيام ، حتى إذا كبر سهل عليه الصوم ورغب فيه وأحبه .

وتقع على الأم المسلمة مسئولية تربية الطفل وتعويده على الصيام إذا أطاقه في سن التمييز وفي مرحلة ما قبل البلوغ ، وهذا راجع إلى فطنتها وكياستها وحسن تدبيرها ، ولنتأمل ما كانت تقوم به الأمهات في هذا الصدد على عهد النبي ﷺ :

تقول الربيع بنت معوذ رضي الله عنها : أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : «من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم» قالت : فكنا نصومه ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (أي من الصوف) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار[4] .

---

(١) ، (٢) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩١٥) ، وأبو داود في كتاب الصوم (٢٣١٤) ، والترمذي في كتاب التفسير (٢٨٩٤) ، والنسائي في كتاب الصيام (٢١٦٨) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٨٧٠) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصوم (١٩٦٠) ، ومسلم في كتاب الصوم (١١٣٦) .

قال ابن حجر : الجمهور على أنه لا يجب الصيام على من دون البلوغ ، واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري ، وقال به الشافعي أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه ، وحدَّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة ، وحدَّه إسحاق باثنتي عشرة سنة ، وأحمد في رواية بعشر سنين ، وقال الأوزاعي إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعاً لا يضعف فيهن حمل على الصوم[1] .

ومن الأساليب التي تترك أثراً بينا في مشاعر الطفل ومداركه الإفطار الجماعي وتهيئة مائدة الإفطار والأدعية المأثورة التي يقولها المفطرون عند الإفطار ، ومظاهر البهجة في رمضان ومنها مدفع الإفطار ومدافع العيد وملابسه الجديدة التي درج عليها الناس وأيضاً اصطحاب الأب الأبناء إلى المسجد لصلاة الليل وهي (صلاة التراويح) ، وكل هذه المظاهر تسكب في روع الأولاد بهجة وحبوراً وسروراً ويرونها بمنظار لا يراها به الكبار !! فتراهم يقبلون على الصيام بنفس منشرحة ورغبة وتنافس ، وإن واكب هذا من الأبوين تشجيعاً وحثاً وحضا تَكاملَ أسلوب الترغيب في تربية الأولاد على شعيرة الصيام .

- التربية على مناسك الحج :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، وفرضيته مشروطة بالاستطاعة قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2] .

والحج عبادة مالية بدنية سماه النبي ﷺ : جهاداً ، قالت : أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها للنبي ﷺ : نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال : **«لا . لكن أفضل الجهاد حج مبرور»**[3] .

---

(١) الفتح ٤/٢٠٠ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٣) رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٢٠) والنسائي في كتاب مناسك الحج (٢٦٢٨) وابن ماجه في كتاب المناسك حديث رقم (٢٩٠١) .

ومن فضائل الحج أنه من الأعمال الجليلة التي تلي مرتبة الجهاد في سبيل الله مع ما للجهاد من مكانة عالية ومنزلة سنية ولما سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل قال : «**إيمان بالله ورسوله**» قيل : ثم ماذا؟ قال : «**جهاد في سبيل الله**» قيل : ثم ماذا؟ قال : «**حج مبرور**»(١) .

والحج رحلة تربوية تغرس في الحاج مكارم الأخلاق وتزرع فيه تقوى الله تعالى واستشعار حرماته وتعظيم شعائره ، وكل ذلك مقصد تربوي يسعى إلى تحقيقه الآباء في تربية الأولاد ، بالتعليم والتبصير ، وبالتنوير والتلقين منذ الصبا ، تأمل قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ . . . ﴾(٢) .

وهكذا يكون الحاج في ميدان تطبيقي لمفهوم التقوى فهو يتجرد من الملذات والشهوات ويعمل على تجنب الفسوق بكل صوره وأسبابه ولا يجادل ولا يخاصم وإنما يسالم ليعيش جواً إيمانياً تربوياً فريداً طيلة أيام نسكه ، ليتمرس على ضبط النفس وكبح جماحها وأطرها على الحق أطرا حتى يسلس قيادها ، وهذا ملاحظ أيضاً في محظورات الإحرام إذ يتجنب الحاج والمعتمر الصيد البري والطيب والجماع ودواعيه وغير ذلك من المحظورات ، كما يتجنب الرجال لبس المخيط والمرأة الزينة .

- ومن النصوص الحاضة على أن يعيش الحاج هذا الجو التربوي ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٣) ، وفي حديث آخر عنه : «**من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»(٤) .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥١٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٨٣) .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٣)متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٨٢٠) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الحج (١٣٥٠) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٢١) ، ومسلم في كتاب الحج (١٣٥٠) .

إن تربية الأولاد على التقوى مقصد تربوي جليل والعبادات كلها فرضها ونفلها تغرس في المسلم وازع التقوى وتحضه على التحلي بالفضائل فالتبري من الرذائل ، والحج يحقق ذلك ويعين عليه إذ يربط المسلم بروابط التقوى من أول يوم يحرم فيه بنسكه .

والتقوى ملحظ يتجلى في الحج أكثر من غيره من العبادات ، فالحج عبادة مالية بدنية ، والحج رحلة تربوية عملية ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1] .

- ومن المقاصد التربوية في الحج تعظيم حرمات الله وتعظيم شعائر الله ، ومراعاة حرمة البيت والمشاعر ومراعاة قدسية الحرمين الشريفين ، ومن ثم احترام مقدسات المسلمين ، وليعرف المسلم ذلك ويلقنه منذ الصغر فهو جزء من عقيدة المسلم ، قال الله تعالى بعد أن ذكر مناسك الحج : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ . . . ﴾[2] .

وقال بعد أن ذكر التوحيد وبين عاقبة الشرك : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[3] .

ومن السنة في تعظيم حرمة البيت حديث ابن العباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **«إن هذا البلد حرمه الله لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها»**[4] .

ولئن كانت مكة حرماً آمناً كما في قول الباري جل ذكره :

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٩٧ .

(٢) سورة الحج : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحج : الآية ٣٢ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الحج (١٥٨٧) ، ومسلم في كتاب الحج حديث (١٣٥٣) .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ . . . ﴾[1] ، فإن المدينة النبوية -كذلك- حرم ، وحرمتها كحرمة مكة وذلك في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «اللهم إني أحرم ما بين لابتيها كتحريم إبراهيم مكة ، اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا»[2] .

- ومن الأمور المعينة على تربية الولد على تعظيم حرمات الله وشعائر الله بعد تعليمه وتبصيره ، تمرينه العملي على أداء مناسك الحج والعمرة ، وإن لم يكن واجباً على من هم دون البلوغ من البنين والبنات إلا أن حجهم إن حجوا صحيح يؤجرون عليه كما يؤجر عليه الأبوان القائمان بذلك ، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة رفعت صبياً إلى النبي ﷺ فقالت : ألهذا حج؟ قال : «نعم . ولكِ أجر»[3] .

ولقد حج النبي ﷺ وحج معه كثير من أبناء الصحابة من الشباب الصغار كعبدالله بن العباس والفضل بن العباس وابن عمر رضي الله عنهم جميعاً .

وهذا يدل على أن الأولاد منذ سن التمييز إلى ما قبل البلوغ يشرع في حقهم الحج ، وأن يدربوا عليه ويبصروا بمراميه ومقاصده التي تجتمع في التقوى ، وإن كان حج الصغير لا يسقط عنه حجة الإسلام الواجبة بعد البلوغ المقرون بالاستطاعة .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٧ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٨٨٩) ، ومسلم في كتاب الحج حديث رقم (١٣٦٥) .

(٣) رواه مسلم في كتاب الحج (١٣٣٦) ، وأبو داود في كتاب المناسك (١٧٣٦) ، والنسائي في كتاب مناسك الحج (٢٦٤٥) ، وأحمد في مسند بني شيبة (١٨٠٠) .

- التربية والتنشئة على أركان الإيمان :

الإيمان واسع المضمون كثير الشعب ، أُسُسُه ستة كما قال الله تعالى : في وصف النبي ﷺ والمؤمنين : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] ، وكما قال في وصف الكفار والضالين : ﴿ ... وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2] .

وقال النبي ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[3] .

فأركان الإيمان ستة هي المذكورة في النصوص الشرعية السابقة .

- الركن الأول : الإيمان بالله عز وجل :

وهو أعظم الأركان وعليه تنبني الأركان الأخرى ، والإيمان به عز وجل هو توحيده في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ، والتبرؤ عن كل ما ينافي توحيده وينافض الإخلاص له ، فهو سبحانه كما قال : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[4] ، وقال ﴿ ... أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ... ﴾[5] ، ﴿ ... لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[6] ، فلا إله غيره ولا رب سواه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ، والإيمان بصفاته عز وجل كما أخبر بها ، مما يليق بكبريائه وجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨٥ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٣٦ .

(٣) متفق عليه ، وقد تقدم ص ٧٧ .

(٤) سورة الإخلاص .

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٠١ .

(٦) سورة الشورى : الآية ١١ .

- الركن الثاني : الإيمان بالملائكة :

وهم خلق من خلق الله عز وجل ، عباد مكرمون : ﴿ . . . لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] ، موكلون بأعمال كثيرة منها ما قصه الله علينا كالكرام الكاتبين والموكلين بالسحب والرياح والأمطار ، وقبض الأرواح . . . وفق المقادير التي قدرها الله ، ومنها ما لم يقصص ، والإيمان بهم واجب .

- الركن الثالث : الإيمان بالكتب السماوية :

وهي المنزلة على رسل الله لهداية الناس وإخراجهم بإذن الله ومشيئته من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الرشد ومن الجهل والعمى إلى العلم والبصيرة .

وكُتُب الله تعالى هي : صحف إبراهيم ، والتوراة المنزلة على موسى ، والزبور المنزل على داود ، والإنجيل المنزل على عيسى ، والقرآن العظيم وهو آخرها والمهيمن على ما فيها المنزل على خاتم النبيين نبينا محمد عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين أفضل الصلاة والتسليم .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[2] ، وقال : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ . . . ﴾[3] ، وقال : ﴿ . . . وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[4] ، وقال : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[5] ، وقال عن القرآن العظيم : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ . . . ﴾[6] .

والقرآن العظيم هو المعجزة الباقية الخالدة للنبي ﷺ على مر العصور وتعاقب

(١) سورة التحريم . الآية ٦ .

(٢) سورة الأعلى : الآيتان ١٨ - ١٩ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٤ .

(٤) سورة النساء : الآية ١٦٣ .

(٥) سورة المائدة : الآية ٤٦ .

(٦) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

الأجيال ، وعلى اختلاف أوجه الإعجاز القرآني : الإعجاز البلاغي اللغوي ، والتشريعي ، والتاريخي ، والغيبي ، والعلمي .

ومن أساليب تعليم الأولاد ذلك في سن الصبا أسلوب القصة التي تعطي الأولاد معلومات مشوقة عن كتب الله وتنزلها ، والوحي وكيفيته ومقاصده وأنه من مظاهر رحمة الله بعباده إذ لم يخلقهم عبثاً ولن يتركهم سدى ، وتبين كتب الله مصير من يؤمن بها وعاقبة من يكفر بها .

وإن من أجل مقاصد تربية الأولاد على الإيمان بكتب الله ، التربية على محبة القرآن العظيم محبة صادقة عميقة تستحوذ على مشاعر الولد وتشده إلى كتاب الله شداً إيمانياً عميقاً ، بغرس قيمة هذا الكتاب المعجز وقيمه في قلبه وعقله وأنه مصدر عزه وسؤدده وسبب فلاحه ونجاحه كي يقبل على حفظه وتلاوته وتدبره وتطبيقه ، بحب وثيق وإيمان عميق ، وبهذا يكونون ربانيين هادين مهديين ، ومن الله التوفيق والتسديد .

- الركن الرابع : الإيمان بالرسل :

رسل الله تعالى عباد مكرمون ، صفوة الناس خَلقاً وخُلقاً وإيماناً وزكاة ، اجتباهم الله تبارك وتعالى واصطفاهم -وهو أعلم حيث يجعل رسالته- ليكونوا قدوة الناس وأسوتهم في التمسك بكل خير وفضيلة واجتناب كل شر ورذيلة ، لذا كانوا كما قال الله تعالى : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ . . . ﴾[1] .

وكانوا رجالاً أفذاذاً يتسمون بمؤهلات القيادة والريادة والإرشاد والمحاجة والتوجيه قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ . . . ﴾[2]

وجميعهم دعوا إلى الإسلام -دين الله الذي لا يقبل دينا سواه- قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[3] .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٦٥ .

(٢) سورة يوسف : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وفي قصص النبيين والمرسلين مادة تربوية ثرّة تنمي لدى الولد مداركه العقلية وتوجه طاقاته العاطفية نحو الخير، وتبصره بأخلاق المسلم والداعية، وتعمق لديه الإيمان بالله تعالى وحبه والولاء له والرغبة فيه والدعوة إليه، كما تنفره من الكفر والفسوق والعصيان. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ الآية[1].

ومن مسئوليات الأبوين تثقيف الأولاد بقصص القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة لا سيما قصص النبيين بذكر قصة كل نبي وما دعا إليه وما لاقاه من قومه من عنت وصدود وما ترتب على كفر الكافرين به، وكيف أن العاقبة إنما تكون للمتقين، وقصصهم حافلة بالدروس والعبر والعظات البالغات التي تناسب جميع فئات المجتمع على اختلاف الثقافات والأعمار والمدارك.

- الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

هو قرين الإيمان بالله تعالى في القرآن العظيم، قال تعالى في بيان مضمون الدعوة إلى الله: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2].

وقال في بيان شروط الفوز بالجنة والنجاة من النار: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]

وقال في مجاهدة الكفرة: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾[4]، والنصوص في هذا كثيرة جداً.

ومن ثمرات الإيمان بالله واليوم الآخر، الخوف من الله تعالى والخشية منه جل وعلا، وهو مقصد تربوي يتوخاه المربون في تربية الولد كي ينشأ وضميره حي يقظ، وحسه الإيماني مرهف وقاد! وليس يتأتى ذلك على الوجه الأكمل إلا بالإيمان بيوم المعاد وما فيه من حساب وجزاء وجنة ونار.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٣٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٢.

(٤) سورة التوبة: الآية ٢٩.

ومن القصص النيرة في هذا قصة الفتاة التي قالت لها أمها قومي وامذقي اللبن بالماء ، قالت إن عمر نهى عن ذلك . قالت : وأين عمر؟ إنه لا يرانا ، قالت الفتاة : إن كان عمر لا يرانا فإن الله يرانا ، وسمع عمر هذا الحوار الذي دار بين الأم وابنتها وهو يعس من الليل فخطب الفتاة لابنه عاصم ، وكان من نسلهما خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز .

وهكذا فإن تربية الأولاد على مخافة الله تثمر أينع الثمار وما التوفيق إلا من الله الكبير المتعال .

- الركن السادس : الإيمان بالقدر :

هو الركن السادس المتمم لأركان الإيمان ، وفيه قول الباري جل وعلا : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2] ، وقال : ﴿ ... وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ... ﴾[3] .

ولقد كان السلف الصالح يحرصون على تربية أولادهم على الإيمان بأقدار الله ويتحينون لذلك الفرص المناسبة لغرس ذلك في عقولهم وقلوبهم وليعلموا أن ما يجري في الكون فإنما هو بمشيئة الله وإرادته وتدبيره ، من ذلك قصة عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بني ! إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ! قال : يا رب وماذا أكتب؟! قال : اكتب مقاديركل شيء حتى تقوم الساعة»** . يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من مات على غير هذا فليس مني»**[4] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٢ .

(٢) سورة القمر : الآية ٤٩ .

(٣) سورة الرعد : الآية ٨ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب السنة حديث رقم (٤٧٠٠) وابن ماجه في المقدمة حديث (٧٧) .

وأيضاً حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «إن الله قد علم أهل الجنة من أهل النار وما يعمله العباد قبل أن يعملوه»[1] .

وفي حديث عمر رضي الله عنه قال : قام فينا النبي ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[2] .

ومن ثمرات الإيمان بأقدار الله تخفيف وقع المصائب على النفس ، وأيضاً الاتزان إبان المسرات ، على حد قول الباري جل ذكره : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[3] .

والولد كغيره من أفراد الأسرة معرض للأفراح والأتراح فلئن كانت تربيته على الإيمان بأقدار الله والتسليم لأمر الله ومشيئته كان متزناً رابط الجأش صبوراً ، لا تذهله المصائب والنوائب ولا تبطره النعمة والدعة . وهذا مقصد تربوي جليل .

- التربية على مرتبة الإحسان :

الإحسان أعلى مراتب الدين ، وذروة سنام الإسلام ، ولا يصل مرتبة الإحسان إلا المسلم الصادق الإيمان ، من زكت نفسه بصنوف العبادات المفروضة والمسنونة ، وصفا قلبه عن الأدواء المهلكة كالشح والحقد والضغينة . . . وكثر خيره وبره وانحسر شره وكان عاملاً بقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾[4] ، وفاز من ثم بمعية الله تعالى ومحبته جل وعز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[5] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب القدر حديث (٦٥٩٦) ، ومسلم في كتاب القدر حديث (٢٦٤٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث رقم (٣١٩٢) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الفتن حديث رقم (٢٨٩١) .

(٣) سورة الحديد : الآية ٢٣ .

(٤) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٥) سورة النحل : الآية ١٢٨ .

وينبغي أن يأخذ الإحسان في تربية الولد مدى بعيداً ، بحيث يسلك به مسلك الرشد في كل شئونه ، كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته»[1] .

(١) رواه مسلم في كتاب الصيد والذبائح حديث رقم (١٩٥٥) ، والترمذي في كتاب الديات حديث رقم (١٤٠٩) ، والنسائي في كتاب الضحايا حديث رقم (٤٤٠٥) ، وأبو داود في كتاب الضحايا حديث رقم (٢٨١٦) ، وابن ماجه في كتاب الذبائح حديث (٣١٧٠) .

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الثالث : التنشئة على مستلزمات العقيدة

العقيدة الإسلامية على ما سبق بيانه من مراتب الدين ، تستلزم أموراً كثيرة ، وتقتضي لوازم هي ثوابت الدين ، وهي أسس التربية الإسلامية وقواعد التنشئة على حب الله وحب رسوله ﷺ .

ولعل من أهم وأبرز لوازم التربية على الإيمان ما أجمله في الفقرات التالية :

أ - العمل الصالح :

من أصول أهل السنة والجماعة أن العمل الصالح يدخل في مسمى الإيمان فلابد مع الإيمان من العمل الصالح ، وعليه فالإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، وعلى هذا المفهوم ينبغي أن تكون تربية الآباء وتنشئتهم الأولاد ، توخياً لمنهج السلف في الاعتقاد ووقاية من الانحراف العقدي .

تأمل قول الله تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾[1] . وقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] . وقال : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[3] . وقال : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ﴾[4] فذكر في هذه الآيات البينات الإيمان الذي ينتفع به صاحبه مقترناً بالعمل الصالح .

ومن أسس التربية الإيمانية التي ينبغي أن تقوم عليها تنشئة الأولاد ، تعميق الوعي بمفاهيم الإيمان ، ومن ذلك :

---

(١) سورة طه : الآية ٨٢ .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ١٩ .

(٤) سورة الأحقاف : الآية ١٩ .

- أن الإيمان كما يشمل العمل الصالح على نحو ما سبق تقريره ، فإن العمل الصالح يشمل العبادات كما يشمل المعاملات ، أما العبادات فكما في قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1] .

وأما المعاملات فكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«أتدرون من المفلس»؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ! فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»**[2] .

- والمعاملات لا تنحصر في التعامل مع بني الإنسان بل تتجاوزه إلى البهائم والعجماوات كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : **«دخلت النار امرأة في هرة حبستها لا أطعمتها ولا سقتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»**[3] .

وكذلك تتضمن كل ما في وسع الإنسان عمله لخير الغير مما حوله من مظاهر الكون ، ومن الأمثلة عليه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له»**[4] . وإن تربية الناشئة على هذا يجعلهم أعضاء صالحين في المجتمع يكثر خيرهم ويقل شرهم ويعم النفع بهم .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٩٩ .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٨١) واللفظ له ، والترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٣٤٢) وأحمد في مسند المكثرين (٧٦٨٦) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨) ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢٢٤٢) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأذان (٦٥٤) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٩١٤) .

ب - حب الله تعالى ورسوله ﷺ :

وهو مطلب تربوي في غاية الأهمية لا سيما أنه قد أصبح الأولاد في عصرنا هدفاً للغزو الفكري الشرس الذي يرمي إلى اجتثاث الإيمان من قلوب الناشئة بشتى الوسائل والأساليب ببث الشبهة وتزيين الشهوة بالإغواء والإغراء ! حتى يصبحوا رويداً رويداً من الكارهين للدين الصادين عن سبيل الله الراغبين عن هديه والعياذ بالله !

وكما حذرنا الله تعالى من ذلك فقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ... ﴾[1] وبعد أن حذر من مكر اليهود والنصارى وأساليبهم في إغواء المسلمين ، أمر بأعظم ما يحصن المسلم من نزغات الشياطين وهو إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقال : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2] .

فالولد ينبغي أن يربى على حب الله ورسوله ﷺ ، كي يكون قوي الإيمان صلب الإرادة لا يتزعزع في الفتن ولا يضطرب إبان المحن ، وحب الله ورسوله ﷺ الحب الحق يقتضي الاستمساك بالدين ، بالإخلاص لله تعالى والاتباع لنبيه ﷺ وهما شرطا قبول العمل والعاصم بإذن الله من الزلل ، لا يتوانى في ذلك ولا يغفل عنه قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ... ﴾[3] .

والاتباع هو اقتفاء هدي القرآن والاقتداء بسيد الأنام والحذر من الابتداع في الإسلام وفي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**[4]

قال ابن حجر : هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده ، فإن

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٣١ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الصلح (٢٦٩٧) ، ومسلم في كتاب الأقضية (١٧١٨) .

معناه : من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه[1] .

إن الإيمان بالله ورسوله واتباع هدي الإسلام وحبه وبغض ما يناقضه يورث الاعتزاز بالدين والتضحية في سبيله والحياة من أجله ! وحب الله تعالى يقتضي كثرة ذكره وشكره آناء الليل وأطراف النهار ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[2] .

وكذلك الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3] . وإيثار أقواله وأفعاله على قول كل أحد وفعله ، والتمسك بذلك والعض عليه بالنواجذ ، واعتقاد أنه سبيل المتقين وطريق الفوز برضوان رب العالمين والنجاة من عذاب الجحيم ، فإن حب الله ورسوله مبدأ إيماني عقدي وهو كذلك مقصد تربوي جليل به يكمل الإيمان ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : **«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»**[4] .

وفي أثر هذه المحبة الإيمانية ما رواه أنس رضي الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة؟ قال له رسول الله ﷺ : **«ماذا أعددت لها»**؟ قال : حب الله ورسوله . قال : **«أنت مع من أحببت»**[5] .

قال النووي : قال ابن بطال : ومعنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأن به ﷺ استنقذنا من النار وهدينا من الضلال .

قال القاضي عياض : ومن محبته ﷺ نصرة سنته والذب عن شريعته وتمني حضور حياته فيبذل ماله ونفسه دونه ، قال : وإذا تبين ما ذكرناه تبين أن حقيقة

---

(١) الفتح ٥/٣٠٢ .

(٢) سورة الأحزاب : الآيتان ٤١ - ٤٢ .

(٣) سورة الأحزاب : الآية ٥٦ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (١٥) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٤٤) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦١٦٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٣٩) .

الإيمان لا تتم إلا بذلك ، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إعلاء قدر النبي ﷺ ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل[1] .

ج - حب السلف الصالح :

وهو من مقتضيات الإيمان ، وحبهم من محبة الله ورسوله ، لا سيما الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين شرفهم الله بصحبة نبيه ﷺ وعن طريقهم وبجهادهم وجهودهم بعد فضل الله تعالى وصلت إلينا رسالة الإسلام .

ولقد زكاهم الله تعالى حيث قال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2] .

وقال في صفاتهم الحميدة وخصالهم الفريدة : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3] .

وكما مدحهم الله تبارك وتعالى لسبقهم إلى الخير وما اتصفوا به من خصال الخير ، فقد مدح الخلف الذين جاؤوا من بعدهم وأحبوهم لله تعالى فقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] .

وأفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ وصاحبه في الهجرة ووزيره الأول ، -والفاروق- عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمير المؤمنين

---

(١) المنهاج للنووي ٢/٣٧٥ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٠ .

(٣) سورة الفتح الآية ٢٩ .

(٤) سورة الحشر : الآية ١٠

الخليفة الثاني والإمام الملهم ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه -ذو النورين- الخليفة الثالث ، -وأبو السبطين- علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخليفة الرابع ، وإن تربية الولد على حب هؤلاء الخلفاء الأربعة بقص قصص إسلامهم وجهادهم في سبيل الله وسابقتهم في الإسلام وما خصهم الله به من المناقب والفضائل لمن واجبات الآباء نحو الأبناء ، وكذا باقي الصحابة رجالاً ونساء وأمهات المؤمنين رضوان الله عليهم جميعا .

وكيف لا يحبهم مسلم وقد شهد الله لهم بالسبق والفضل ورضي عنهم من فوق سبع سموات فقال : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1] .

د - التوسط والاعتدال :

وهو من مستلزمات العقيدة ، إذ الإسلام دين الوسطية حيث لا غلو ولا تهاون ، بين الإفراط والتفريط ، وبين التساهل والتنطع ، والأمة المحمدية وهي خاتمة الأمم وأفضلها هي أمة وسط كما قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[2] .

ولئن كان الشرع قد نهى عن التشدد في الدين والغلو فيه كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «هلك المتنطعون»[3] ، فإنه جعل في المقابل التخاذل والتكاسل في الدين مذموماً أيضاً وجعله من النفاق إذ قال عن المنافقين : ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4] .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٠٠ . وانظر تفسير القرطبي في موضع الآية : ٨/٢٣٥ . فقد ذكر مسائل جليلة تتعلق بعقيدة المسلم في الصحابة وفضلهم وسابقتهم وما يجب علينا تجاههم .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٤٣ .

(٣) رواه مسلم في كتاب العلم الحديث (٢٦٧٠) وأبو داود في كتاب السنة حديث (٤٦٠٨) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم (٣٤٧٣) .

(٤) سورة النساء : الآية ١٤٢ .

والمسلم المقصر في أمور دينه لا يخرج عن مسمى الإيمان ما لم يأت بما يناقض أصل الإسلام ، فلا يكفر بكبيرة ، ولا يفسق أو يبدع إلا ببينة وتثبت ، وبالطرق المشروعة ، ولا يفتات المسلم على ولاة الأمر في إقامة الحدود ولا فيما هو من اختصاصاتهم بحكم ولاياتهم ومسئولياتهم من التحري والإدانة .

وليس من أهداف التربية الإسلامية أن يحب الأولاد الدين ويرغبوا فيه فحسب ، بل أن يتمسكوا به على النهج الراشد في اعتدال وتوسط وإلا كانت نتائج التربية عكسية سلبية !! .

فالتدين المشوب بالغلو لا ينتج إلا التطرف والخروج عن منهج الإسلام بتأويلات فاسدة ومبالغات ممجوجة ، وكذلك التهاون والتخاذل لا ينهض من بلي به بعزائم الأمور .

هـ - الولاء والبراء :

يقيم المسلم علاقاته بإخوانه المسلمين ، وبغيرهم على أساس الدين ، فيوالي ويعادي لله تعالى وفي الله ، وعلى هذا المبدأ ينبغي أن تكون تربية الولد كي يبقى محافظاً على كيانه صيناً واقياً لمعالم دينه من الانحلال والذوبان ، عارفاً بمعايير المفاضلة بين الناس ، مدركاً لمقاييس القبول والرفض لما يسمع ويرى ويدرك .

والدين الحنيف يرفع وشيجة الدين وعروته الوثقى فوق كل الوشائج والعلاقات الأخرى ، ويجعل رابطة الدين مقدمة على رابطة الدم والنسب والمصالح ، وحتى العلاقات بين الآباء والأبناء ليست ترتقي إلى مستوى الرابطة الدينية .

ولنتأمل ذلك في النصوص التالية :

- في قصة نبي الله نوح عليه السلام لما دعا ابنه وقد أشرف على الغرق ناداه كما

قال تعالى : ﴿ . . . وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1] ، فلما لم يستمع إلى الأب الشفيق وآثر الكفر على الإيمان وكان من المغرقين نادى نوح ربه : ﴿ . . . فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2] فولاية الإيمان فوق كل ولاية .

ذكر الإمام الطبري بسنده عن سعيد بن جبير أنه جاء إليه رجل فسأله فقال : أرأيت ابن نوح ابنه؟! فسبح طويلا ثم قال : لا إله إلا الله ، يحدث الله محمداً ﷺ : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾ وتقول ليس منه؟ ولكن خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن[3] .

- قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4] ، فللوالدين البر والإحسان حتى وإن كانا كافرين ، وللأولاد حق الرعاية والتربية وتعليم أمور الدين ، لكن لا تعلو علاقة الأبوة والبنوة ولا ترتقي إلى مستوى علاقة الدين .

- قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ . . . ﴾[5] .

ففي هذه الآية أن ولاية الكفار لا تجوز ، لأن المودة إذا حصلت تبعتها النصرة والموالاة فخرج العبد من الإيمان وصار من جملة أهل الكفران كما يقول الإمام ابن سعدي[6] .

---

(١) سورة هود الآية : ٤٢ .

(٢) سورة هود الآيتان : ٤٥ -٤٦ .

(٣) تفسير الطبري ٥٢/١٢ .

(٤) سورة التوبة : الآية ٢٣ .

(٥) سورة الممتحنة : الآية ١ .

(٦) تيسير الكريم الرحمن ١١٠/٨ .

ولموالاة الكفار في عصرنا صور كثيرة ، قد يقع فيها الناشئة وهم لا يشعرون ! كالافتتان بحضارتهم وما فيها من مساوئ وأوصار ، وكالتعلق بمن يسمونهم نجوم الفن والألعاب الرياضية ، والتشبه بهم وتقليدهم وتمني مؤاخاتهم ونحو ذلك مما قد يبتلى به الفتى المسلم أو الفتاة المسلمة ، وهو - كما ترى - راجع إلى ضعف التربية الأسرية على مستلزمات العقيدة الإسلامية

هذا وللتنشئة على العقيدة القويمة مستلزمات أخر . كحب الجهاد في سبيل الله لا سيما في بلاد المسلمين المنكوبة كفلسطين وتركستان وبورما والشيشان وغيرها ، وأيضاً حب الدعوة إلى الله تعالى والرغبة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة ، والاهتمام بأمور المسلمين ، والعمل على إسعاد البؤساء والمحرومين . . . وغير ذلك كثير ، مما تسكبه العقيدة الإسلامية في قلوب الأباء ووجدانهم ، فيربون عليه الأبناء ، ويؤدون بذلك الأمانة التي ائتمنهم الله عليها .

فليست العقيدة إيماناً يقر في القلب فحسب ، بل وعملاً يصدق ما وقر ، ويكون أمارة عليه .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«الإيمان بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»** . وفي رواية : **«والحياء شعبة من الإيمان»**[1] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٩) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٥) .

obeikandl.com

المبحث الرابع : أثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم

لا جرم أن للعقيدة في حياة الإنسان الأثر الأكبر في توجهه وسلوكه وأسلوب تفكيره وجميع أنماط حياته ، بل وفي تقرير مصيره .

ولقد نوه الشرع بأثر التنشئة على العقيدة في حياة الأولاد وسلوكهم ، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء**»(١) .

فبحسب تربية الأبوين ينشأ الولد إما مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً ، وما يلحق بهذا الاعتبار من قوة التدين أو ركاكته ، ومن عمق التأثير أو ضعفه .

وآثار العقيدة في حياة المسلم كثيرة لعل من أهمها ما أذكره مما يقتضيه المقام ملخصاً :

- نشأته من جهة الإيمان بالله تعالى بين الخوف والرجاء ، بين خشيته تبارك وتعالى والخوف من عذابه وغضبه وبين رجاء رحمته وعفوه ولطفه ، وهذا هو الذي يتوخاه المسلم وهو الصراط المستقيم فمن كان الرجاء فقط غايته زل كالمرجئة ، ومن كان الخوف فقط غايته ضل كالخوارج ، والمنهج الوسط هو الجمع بين الخوف والرجاء كما في قول الباري جل ذكره : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢) .

وقال في موضع آخر : ﴿ . . . وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ . . . ﴾(٣) .

وقال : ﴿ . . . إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٤) .

---

(١) متفق عليه ، وقد تقدم

(٢) سورة الزمر : الآية ٩ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٥٧ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٩٠ .

والجمع بين الخوف والرجاء تتحقق به التقوى وهي ترك المعاصي وفعل الطاعات ، فمن خاف الله ترك محارمه ومن رجا رحمته اجتهد في الصالحات ، وكان مرهف الحس وقاد الضمير لا يبيت في غفلة ولا يتوانى عن تحقيق التقوى ، وهذا ما يتواخاه المتقون وهو هدف التربية السوية .

وتأمل حرص عبدالله بن العباس رضي الله عنهما على الخير وهو شاب يافع حفزه الورع على اقتفاء سنة رسول الله ﷺ حتى وهو في بيته بين أهله ، قال رضي الله عنه : «**بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ وكان النبي ﷺ عندها في ليلتها فصلى النبي ﷺ العشاء ثم جاء إلى منزله فصلى أربع ركعات ثم نام ، ثم قام ، ثم قال : نام الغليم ! أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقمت عن يساره فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ثم خرج إلى الصلاة**»[1] .

- معرفة حقيقة الدنيا والتعلق بالآخرة ، وهذه سمة المؤمنين إذ هم يسعون للدار الآخرة ويجعلون ذلك أكبر همهم أما الدنيا فيكتفون منها بالكفاف ويجعلونها مطية لما بعدها ، والقرآن العظيم يرسخ هذا في نفوس المؤمنين في غير موضع مثل قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾[2] .

وقال في موضع : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[3] .

- تزكية النفس بالطاعات وهو أثر للتربية السوية ، إذ تصبح النفس خيرة زاكية تحب

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب العلم (١١٧) واللفظ له ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٧٦٣) .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٦ .

(٣) سورة الإسراء : الآيتان ١٨-١٩ .

الخير والطاعات وتسارع فيها وتكره الكفر والفسوق والعصيان وتنفر منه ، ففي أثر الصلاة على سبيل المثال قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[1] .

وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[2] .

فللصلاة أثرها في تهذيب السلوك وتقويم الأخلاق ، ولها أثرها في رفع الدرجات وتكفير السيئات .

وفي أثر الصوم وأنه يكسر الشهوة ويهذب الأخلاق حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»[3] .

- معرفة حقوق الخالق جل وعلا وحقوق الخلق ، فحق الله تعالى أن يعبد وأن لا يشرك به شيءٌ ، وحقوق الخلق أن يسلموا من اللسان واليد فلا يعدو عليهم بشيء من ذلك ، وهذا من الآثار العظيمة للعقيدة الإسلامية ، ومن النصوص الكثيرة في توحيد الله تعالى قوله سبحانه : ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[4] .

وفي تقرير حقوق الناس حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم**»[5] .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٤٥ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٤ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب النكاح حديث رقم (٥٠٦٥) ، ومسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٠٠) .

(٤) سورة الزمر : الآية ٦٦ .

(٥) المقطع الأول من الحديث متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٤٠) ، وأما المقطعان معاً كما هو في المتن فرواه الترمذي في كتاب الإيمان حديث رقم (٢٦٢٧) ، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه حديث رقم (٤٩٩٥) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٨٥٧٥) .

وفي حق الأخوة الإسلامية قوله تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] وهكذا لو تتبعنا سلسلة الحقوق التي يقوم بها المسلم بدافع إيمانه بالله ويقينه بموعوده لا لشيء آخر لطال بنا المقام وحسبنا هذا القدر إذ أردت مختصر الإشارة لا تفصيل العبارة وبالله تعالى التوفيق .

- التوازن النفسي : وهو ما ينعم به المؤمنون بالله الواثقون بمعيته وتأييده ، وهو أثر من آثار الإيمان ونعمة من نعم الله على عباده المؤمنين ، فمن لاذ بحمى الله وفر إليه ولجأ ببابه وقاه وكفاه ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[2] .

وقال : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾[3] ، ففي هذه الآيات البينات وصف لطبيعة الإنسان ، وينبغي للآباء معرفته لأنه من خصائص البشرية ، يشترك فيها الأولاد الصغار وكذلك البالغون الراشدون ، فمن ذلك الهلع : وهو أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه كما يقول القرطبي[4] .

ولا سبيل إلى الخلاص من هذه الصفات الذميمة التي تتأصل في الإنسان مع دواعي الكفر وهوى النفس فينقلب كالبهيمة لا هم له إلا شهوة البطن والفرج ، إلا بالتقوى ولا سيما الأخلاق التي ذكرها الله لوقاية الإنسان من أدواء

---

(١) سورة الحجر : الآية ٨٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٢٨ .

(٣) سورة المعارج : الآيات ١٩- ٣٥ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٣/١٨ .

الهلع والجزع حين الضراء ومنع الخير حين السراء ، لا سيما العبادات والأخلاق المنصوص عليها هنا وهي :

- الصلاة بإقامتها والمداومة عليها والمحافظة على أركانها وشروطها وواجباتها .
- سخاوة النفس بإيتاء الزكاة والصدقات وكل أنواع البر والمواساة .
- الإيمان بيوم الحساب والخوف من الكبير المتعال .
- حفظ الفرج عن كل محرم من زنا ولواط وسحاق واستمناء وأسبابه ودواعيه من مسموع ومشاهد . . . وتحقيق العفة والصون عن هذه البلايا والرزايا على الدوام .
- أداء الأمانات كلها الحسية والمعنوية دون تردد ولا تقصير . ومنها الوفاء بالعهود وبالعقود والالتزامات ، فلا يصح التلاعب بها ولا التهاون فيها .
- القيام بالشهادة لله تعالى ، حفظاً للحقوق ودفعاً للظلم .
- المحافظة على الصلاة فهي المبتدأ والمختتم وهي عمود الإسلام .

وهذه العبادات يصح أن تكون دستور التربية والإصلاح وتزكية النفس للصغار والكبار على السواء ، فهي وسائل التربية ومقاصدها .